٤ . على ضفاف القناة :

وجـــوه كالحة *

للاستاذ عبد الحفيظ أبو السعود

مساكين أبناء مدن القناة الثلاث — بور سعيد والإسماعيلية والسويس — وبخاصة أبناء مدينة الإسماعيلية.. التي كتب الله على أبنائها أن يتجرعوا الغصص المرة حادة ، ذلك لأنهم يرون دائما وجوه أعدائهم الألداء ، هذه الوجوه الكالحة ، التي سئم كل مصري النظر إليها ، وضقنا بها وبأبنائها ذرعا ، وكدنا نيأس حكومة وشعبا من معرفة طريق الخلاص والقضاء على هؤلاء الاستعماريين (الكلاب) — كما يدعوهم آية الله كاشاني — وأدركنا إلى أي حد يجحد هؤلاء الناصبون حقوقنا ، ويعبثون بمصالحنا وآمالنا ، ويسخرون بأمانينا الوطنية التي يجب أن نبذل في سبيل تحقيقها ، والحصول عليها ، كل مرتخص وغال ، فأينما سرت في هذه المدينة البائسة لا تجد غير هؤلاء الإنجليز ، يروحون ويجيئون في كل وقت من الأوقات ليلا ونهارا ، يتسكعون هنا وهناك في برود وصفاقة ، وكأنهم يسيرون في أوطانهم ، ويجوبون رحابها آمنين مطمئنين ، هادئين وادعين . كأنه ليس بيننا وبينهم عداء مستحكم الحلقات ، ولا قضية مطروحة في المحافل الدولية إلى الآن ؟ ولست أدري لماذا يأمن الإنجليز جانب المصريين إلى هذا الحد العجيب ، فتراهم يعيشون في أحيائهم الأفرنجية بالمدينة ، ويشاركون المصريين في الأحياء الوطنية ، ويسيرون بين المصريين كأنهم من أبناء جلدتهم ؟ فهل معنى ذلك أنهم يعتقدون أننا هازلون في مطالبنا ، غير جادين في قضيتنا وجهادنا ؟!

إن منظر الجندي الإنجليزي يسير في مدينة الإسماعيلية بالذات يؤلمني إلى حد كبير ، كما يؤلم كل وطني غيور ، لأنه يحمل معنى التحدي الجارح لكرامة المصري ، رشموه وعزته ، فهو يسير مترفعا متعاليا ، في صلف وكبرياء ، مقيتة لميتة ، شأنه في ذلك شأن العملاق المتغطرس الذي ينظر في ازدراء وضيع إلى أقزام هزيلة الجسوم ، جائعة البطون ، عارية الأبدان ، وهو لهذا لا يأبه بمن أمامه من المصريين ، ولا يبالي بما يأتي من جرائم ، ويقتل من أرواح ، فقلما يخلو يوم من حوادث السيارات الإنجليزية التي تجوب المدينة على الدوام ، وبلا انقطاع ، والتي تقف أمام دور السينما والمحلات العامة وفي الحدائق ، وتزدحم بها الشوارع في كل مكان ، والتي يذهب ضحية إهمال سائقيها المخمورين كثير من المصريين الأبرياء . . وماذا يضيره مادام يخرج دائما هو وأمثاله المجرمون بسلام ، ولا تنال منهم سطوة القانون المصري شيئا ، لأن الإنجليزي لا يزال في هذه البلاد عنوان السيادة الذي يخضع له الجميع . . وقاتل الله الإنجليز ، فإنهم لا يزالون يعيشون في أواخر القرن العشرين بعقلية القرون الوسطى ، ولا يزالون يؤمنون إيمانا عميقا بسياسة الدس والتفرقة بين مختلف الطوائف وقادة الشعوب ، وزعماء البلاد ، ولا يكاد يستجيب لهم ، ويحقق أمانيهم غير المصريين من الذين لا يعيشون لبلادهم ، وإنما يعيشون لتحقيق أغراضهم ، ومصالحهم الذاتية . . ولكن الإنجليز في هذه المرة لن يصلوا إلى ما يصبون إليه ، وسيفوت عليهم الوعي الجديد للشعب المصري أغراضهم السافلة ، ويحطم آمالهم الاستعمارية الوضيعة ، ويكشف حيلهم الدنيئة ، ويسجل عليهم الفشل الذريع ، والحظ المنكود .. !!

* * *

أجل فالوعي القومي بين طبقات الشعب قد ارتفع مستواه ، ونأمل أن يؤتي ثماره اليانعة في القريب العاجل إن شاء الله . وإنه لمن الظلم أن تظل هذه الجنود تتمتع بالأحياء الجميلة النظيفة في المدينة وتستنفد خير الأطعمة ، وتستولي على جميع ما تصل إليه من طيبات الرزق ، بينما يحرم من هذا كله أهل المدينة والقاطنون فيها ، فتتلظى نفوسهم غيظا ، وتتميز كمدا وحقدا على هؤلاء الدخلاء الذين ينتزعون خير أقواتهم ، وأطيب أرزاقهم ، وغزوهم في مساكنهم ، حيث استأثر الإنجليز بأحياء خاصة ، ثم طفق منذ شهور سيلهم الجارف ، وتدفقوا في منطقة القنال زرافات زرافات ، حتى ضاقت بهم مناطقهم العسكرية في منطقة القناة ، كما ضاقت بهم مدينتهم الكبيرة الجميلة المنسقة ، التي بنتها لهم القيادة العامة على أحدث طراز إنجليزي ، حتى لتتشابه

* كتبت هذه المقالة قبل إلغاء المعاهدة ووقوع الأحداث الأخيرة

البيوت إلى حد كبير، والتي تقع في الجنوب الغربي من الإسماعيلية.. أجل ضاقت بهم هذه الأماكن كلها فنزحوا إلى الأحياء الوطنية، وزحفوا عليها زحف العقارب الشائلة، والوحوش الضارية، وسكنوا في عمائرها الجديدة النظيفة، كما نزح إلى هذه الأحياء كثير من الأجانب من اليونانيين والأرمن، وغير هؤلاء بقصد الربح والكسب، تاركين مساكنهم في الحي الأجنبي للانجليز نظير مبالغ كبيرة من المال، إما بصفة (خلو رجل) أو عن طريق الإيجار من الباطن، فيترك الواحد منهم مسكنه النظيف الذي يسكن فيه نظير إيجار شهري قديم لا يزيد عن خمسة جنيهات لشقة متوسطة، مكونة من ثلاث حجرات مثلا، بعد أن يؤجرها للجنود الإنجليز نظير ثلاثين جنيها على الأقل بواقع عشرة جنيهات للغرفة الواحدة، ويؤجر هو في الحي العربي شقة تماثلها بعشرة جنيهات. فيكون ربحه من هذا خمسة عشر جنيها، دون أن يبذل في ذلك أي جهد، أو تسعى له قدم .. !!

على هذا المنوال تسير الحياة في الإسماعيلية فتنكمش على الدوام مساكن المصريين الوطنيين، وتنمو مساكن الإنجليز باستمرار، حتى في هذه الأيام التي ارتفعت فيها العاطفة الوطنية، والتي استعدت فيها النفوس للثورة القومية، والجهاد النبيل، والتي كاد يخمده زعماؤنا بتعلقهم بالوعود البريطانية الخلابة، فلا يزالون يثقون بهؤلاء الخونة الأنذال، وكأنهم لا يزالون يجربون مع طول التجارب المريرة السابقة ..!!

وليس من الغريب أن ترى أسرة إنجليزية صغيرة تعيش في دكان صغير ليس فيه دورة مياه، ولم يعد ليكون مسكنا لشخص أو عدة أشخاص .. إي والله لقد رأيت هذا المنظر الغريب العجيب في حي جميل من أحياء الإسماعيلية .. وليس من الغريب كذلك أن ترى الأسر الكثيرة تسكن بيوتا من الطين لا تختلف في قليل أو كثير عن بقية بيوت الفلاحين المصريين التي حولها .. وليس بعجيب أن تمتلئ الفنادق الأفرنجية في المدينة كلها بعائلات الجنود الإنجليز، تعيش العائلة في حجرة صغيرة أعدت في الأصل ليكون بها شخص واحد أو شخصان، كما أن بعض الفنادق المصرية قد اكتظ بهذا النوع من الوجوه الكالحة، حتى أن من العسير أن يجد المسافر مكانا في فندق يبيت فيه ليلة أو بضع ليال .. !!

أجل ليس من الغريب أن ترى هذه المناظر. ولكن كلمة الحق التي يجب أن نسجلها في هذا المكان، هي أن النظافة تشيع في كل مكان يقطن فيه هؤلاء، كما يسوده النظام والهدوء، حتى في تلك الأماكن المتناثرة في أنحاء الأحياء الوطنية، بحيث يخيل إلى أن المصريين لو انتقلوا جميعا إلى الأحياء الأجنبية النظيفة، وانتقل الأجانب إلى الأحياء الوطنية القذرة، لعمت الفوضى بعد أيام في الأحياء الأولى، ولساد النظام والنظافة والهدوء والسكينة في الأحياء الأخرى. !

ومهما يكن من شيء فإن كل إسماعيلي يشعر من أعماق نفسه بكراهية عجيبة لهؤلاء الغاصبين، ويرى فيهم العدو اللدود لبلاده، سواء في ذلك الذين يستفيدون من الإنجليز بالعمل في معسكراتهم، أو الذين يتعاملون معهم بغير ذلك من أنواع المعاملات. وهي كثيرة في الإسماعيلية، حيث يوردون لهم الخضر والفاكهة والألبان وغير ذلك، ويبنون لهم المساكن ويشيدون العمائر الضخمة الكبيرة، التي تضارع في ضخامتها وعظمتها عمائر القاهرة..

وإن الأمل لكبير في أن تسيطر الوطنية المصرية على هؤلاء الإسماعيليين الذين تربطهم بالإنجليز صلات المادة، وتتغلب عليهم روح التضحية الخالصة، فيلبي كل منهم نداء الواجب المقدس، ويقصم ما بينه وبين هؤلاء من عرى وثيقة، وصلات قوية، مهما بلغت أرباحه المادية

ولكن المخلص تتغلب عليه ناحية التشاؤم حينما يتصل من قريب بهؤلاء الذين يتعاملون مع الإنجليز من غير أبناء الإسماعيلية المخلص، وأعني بهم أولئك الذين نزحوا من الصعيد لا يملكون شيئا، فأصبحوا بعد أعوام قلائل أثرياء أغنياء، لا تعرف كيف وصل إليهم المال، وأي الطرق سلكوا حتى أصبحوا يشار إليهم بالبنان في كل مكان.. أعني بهم هؤلاء الذين تفص بهم المربات الخاصة (البولمان) في قطار السكة الحديدية، وتضيق الشوارع

فى مدينة الإسماعيلية بسياراتهم الفارهة التى لا تكاد تسمع لها صوتا حينما تسير . . هؤلاء الذين يرتدون فى الغالب الجلباب البلدى المصنوع من الصوف الجميل ، و (الطاقية) الوبر الناعمة ، الغالية الثمن ، عليها (شال) ناصع البياض ، وتشكون منهما عمامة لا أثر للذوق فيها ، ولا تصيب للوقار منها . . ويلفت نظرك خواتم كبيرة ذهبية فى أصابع اليدين ، منها الكبير والصغير ، والفصوص الحمر والزرق ، وتعجب لما بين ذلك كله من تنافر ، مع ارتفاع قيمتها ، وغلو ثمنها ، ولكنه المال المزيف الذى يتدفق على هؤلاء من خزائن الإنجليز فيملأ منهم الجيوب ، ويخرب الضمائر ، ويفرغ العقول . !

إن قطع علاقاتنا بالإنجليز يوم أن يتم إلغاء المعاهدة اختبار للبطولة الوطنية ، وامتحان للقومية المصرية ، ويوم ذاك تبارك مصر كل من يفهم كنه هذا القرار ، ويدرك حقيقة ذاك الاتجاه ، وينفض يده من ذلك الوباء الماحق ، والشر المبير ، ويحاول سحق هذه القوة الناشبة ، والقدرة العمالة الطاغية ، التى عدها نحن بمقومات حياتها . . وتبارك هذا النوع من أبنائها ، وتلعن كل من أعرض عن نداء الواجب . ولم يصخ لصوت الضمير ، ونداء الوطنية العادل . .

وإن فى إمكاننا وحدنا أن نقطع شرايين الإنجليز ونحبسهم فى حيز ضيق لا يستطيعون منه فكاكا ، ونكرههم على الفرار من وادى النيل كله ، وذلك حين نقطع ما بيننا وبينهم من صلات وعلاقات ، فلا نطعمهم ولا نسقيهم ولا نتعاون معهم ولا نسكنهم ولا نشترى بضائعهم ، وننظر إليهم نظرة احتقار وازدراء ، ونعامل من يتعاون معهم معاملة الخائن لوطنه ، ونضيق عليهم الحصار حيث يثقفون . !

ولقد علمتنا الحوادث أن الإنجليز لا يجدى معهم الأخذ والرد ، والجدل والنقاش ، والمباحثات والمعاهدات ، فذلك باب أتقنوه ، وبرعوا فى سياسة اللف والدوران ، وسياسة كسب الوقت . . وإنما تنالهم القوة القاهرة ، ويخضعهم العزم الصارم ، ويذلهم التصميم الحازم ، ولقد عرفت إيران كيف تصفع الإنجليز صفعة هزت كيانها ، وزلزلت بنيانها ، وحطمت أعصابها ، وأكرهتها على الخضوع لرغبات الإيرانيين الأبطال . . فمتى نفهم هذه الحقائق ونعلم أن تحقيق الأمل ، ونيل الأمانى ، هو بالكفاح والنضال ، وندرك أنه لا قيمة لما يتهجه الزعماء الآن من أقوال مجلجلة ، وتصريحات جريئة ، وخطب رنانة طنانة ، وهتافات مدوية ، وتصفيق حاد . . فمتى أدركنا ذلك أمكننا أن نقضى على هؤلاء الناعقين ، وأن نتخلص من شرهم ، وأن نحتفى من منطقة القناة هذه الوجوه الكالحة ، كما اختفت من قبل من القاهرة والإسكندرية

عبد الحفيظ أبو السعود

وزارة الزراعة

مصلحة وقاية المزروعات

تقبل العطاءات بمكتب صاحب العزة مدير عام المصلحة بالدقى لغاية الساعة ١٢ ظهرا عن توريد

١ ـ أدوات منزلية يوم ١٧ / ١٢ / ١٩٥١

٢ ـ حبال وخيط شموط يوم ٢٢ / ١٢ / ١٩٥١

ويمكن الحصول على الشروط مقابل دفع مبلغ ٢٠٠ مليم بخلاف ٥٠ مليم أجرة البريد لكل منها وتقدم الطلبات على ورقة تمغة من فئة الثلاثين مليما ٩٩٣٥